رسالة

الشروح العرفانية

على

(القصيدة الهائية الفوزية)

(تأليف)

﴿ حضرة العارف ابراهيم بك محمد الحسيني ﴾

﴿ اما القصيدة ﴾

« فهي من نظم نابغة الحقائق الالهية المرشد النافع »

(احمد بك فوزي الطوبجي)

(وقد وضع الناظم تعليقات على الشرح تبيانا لمراده)

﴿ طبعت على نفقة ﴾

(حضرة الاديب عبد الحميد بك حمدي)

طبع بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقاريظ العلماء

ما تمت هذه الرسالة واطلع عليها السادة الافاضل العلماء الاجلاء حتى وافونا بتقاريظهم التي دلت على حسن ظنهم وتقهم وفي مقدمتهم حضرة صاحب الفضيلة العلامة الخطير الاستاذ الشيخ احمد الجيزاوي المالكي الكبير حيث قال حفظه الله

الحمد لله المنفرد بالايجاد والابداع . الذي لا شريك له في الافعال من غير نزاع . والصلاة والسلام على خير النبيين والمرسلين . الذي هو الواسطة العظمى في اشارات العارفين والكاملين . وعلى آله وصحبه الذين حازوا قصب السبق في مضمار الاحسان . وبهم تم كل خير وعرفان .

(أما بعد) فقد اطلعت على الشروح العرفانية المنسوبة لحضرة المفضال الكامل ابراهيم بك محمد الحسني على القصيدة الهائية الفوزية المنسوبة للمربي النافع حضرة احمد بك فوزي الطوبجي وسرحت طرفي في خلالهما فوجدتهما دالتين على اخلاص المؤلفين وعرفانهما وعلى انهما من المحبين للحضرة الالهية فجزاهما الله أحسن الجزاء ونفعنا بهما وبعرفانهما وارشدنا الى الاقتداء بهم حتى يتم لنا السرور آمين

الفقير اليه تعالى
احمد الجيزاوي الازهري
عفي عنه

وقال حضرة العلامة الفاضل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الطوخي مفتي نظارة الحقانية المصرية ومفتشها الاول حفظه الله

يا فتاح

سبحانك يامفيض الفتوحات الالهيه. على قلب اكمل الخلائق الانسانيه. وواهب لطائف المنح القدسيه. لاشرف اللطائف الانسيه. وصلاة وسلاماً على مجمع الحقائق الايمانيه. وطور التجليات الاحسانيه. واسطة عقد النبيين. وتاج فخار المرسلين. وعلى آله واصحابه عوارف المعارف. الحائزين من جواهر الكمالات كل تليد وطارف.

وبعد — فالانسان بالبيان. والكتاب بالعنوان. وقد أسعدتني الصدف. بتسريح الطرف. في شيء من سطور طروس هذه الرسالة (رسالة الشروح العرفانيه. على القصيدة الهائية الفوزيه) فألفيت القصيدة من جهة المبنى متينة الاساس. مشرقة النبراس. محكمة القافيه. باركان الصناعة وافيه. ومن جهة المعنى عقداً رصعته سليقة ناظمها من جواهر اصداف القوم. الذين هجروا في طلب لباب الحقائق معاهد اللهو والنوم. ووجدت الشروح توخت في البيان اسلوب العارفين. وطريقة المتمكنين. بحلى حقائق اليقين. فليست تلك الشروح الا شذوراً مادتها من معادن العرفان. وفصولاً مستمدة من بحار حقائق الايقان. مع لطف أسلوب وحسن رواء. ومتانة تعريب. ولطف بهاء. مما يدل على ان مؤلف الشروح وناظم

أصلها ممن ذاقوا لذة اشارات هؤلاء الاقوام. وأحسنوا على دراسة اسفار معارفهم القيام. وتجلت لهم من كلماتهم الاشارات. ووضحت بين أيديهم من مؤلفاتهم العبارات. وجدّوا في أثرهم. وساروا في عين طريقهم. فقطعوا بعض العقبات. ووصلوا الى بعض المقامات.

أدام الله توفيقهم. وواصل جهادهم واجتهادهم. حتي يصلوا الى مقام كشف الشهود. ويفوا لانفسهم بمواجب المواثيق والعهود. وجزاهم عن طلاب الحق الجزاء الأوفى. وسقاهم من شراب القرب الشراب الأصفى. وسلك بنا معهم جادة الشريعة الطاهره. وعاملنا بخفي وفيّ لطفه في الاولى والآخره. آمين

كتبه بقلمه الفقير اليه تعالى

محمد احمد الطوخي الحنفي الازهري

عفي عنه

وقال حضرة الاستاذ المتمكن الشيخ ماضي الرخاوي من العلماء الأول في الجامع الازهر الانور نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول قد اطلعت على القصيدة الهائية للفاضل احمد بك فوزي وعلى شرحها للكامل ابراهيم بك محمد فوجدتهما قد افادا وأجادا ولما اطلقت لسان اليراع في مدحهما قال رويدك

فانني لو بذلت كل جوهرة   من اللآلي بنظم أو بما نثرا
ماحمت حول جليل من محاسنهم   ولا قليل بهذا جئت معتذرا

فأحمد الله على توفيقهما لهذا الشأن واسأله بمنه أن يوفقهما ويديم النفع بهما آمين

محمد ماضي الرخاوي الازهري
عفي عنه

وقال حضرة الفاضل الاديب والكامل الاريب الشيخ محمد سليمان الصفتي المالكي شيخ رواق الابتغاوية بالازهر سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك يامن ارشدت بصائر العارفين . الى مواطن اهل العرفان واليقين . حمداً تعرج به الروح . على معارج الفتوح . ونشكرك شكراً استجنت في الضمائر معانيه . ورفلت في حلل الالفاظ مبانيه . حمداً وشكراً نسلك بهما سبيل ذوي المناهج العرفانية . ومن تجلت لهم الاسرار الالهية الربانية . ونصلي ونسلم على مجلي الكمال الرباني . المتجلية في روحه اسرار الفيض الرحماني . النقطة القطبيه . لدائرة الوجود الامكانيه . وسر تلك النقطة في المجالي الذاتية العيانيـة . احمد النشأة في البطون والظهور . محمد الكمال والمظهر الحقيقي في كل بشر وسرور . صلى الله وسلم عليه فهو النبي الكامل والمرشد الاعظم وعلى آله وصحبه الفخام أئمة الارشاد امين

وبعد فقد اطلعت على القصيدة الهائية الفوزيه للكامل العارف بالله

حضرة احمد بك فوزي الطوبجي الاحمدي مشهداً وتحققا . الادريسي مشرباً وتخلقا . وعلى شرحها لحضرة الفاضل العارف ابراهيم بك محمد القادري طريقة النقشبندي مشربا فوجدتها رسالة عرفانية حقيه . اسرارها شريفه . وتحقيقاتها منيفه . روض معانيها زاه نضير . وكوكب مبانيها مشرق منير . نفع الله بها من تلقاها بقلب سليم . وصانها عن كل ذي غرض سقيم . وما ساقني الى ما اقترحت الا حسن ظني فيهما وقبولهما ما سطرت . وعدم مؤاخذتي فيما قصرت . ايدهما الله بنصره . ووفقهما لصالح العمل وخيره . انه على ما يشاء قدير . وبالاجابة جدير . امين

محمد سليمان الصفطي
خادم العلم عفي عنه

وقال حضرة الاستاذ العلامة المخلص الفاضل الكامل الشيخ محمد خيامي قاضي جرجا سابقاً نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قوّة المتقين . والشكر له تعالى معراج الذاكرين . والصلاة والسلام على اشرف المرسلين بهجة اهل الصفاء والوفاء . والترضي عن كل المسلمين من اهل الولاء . نعيم في نعيم . وصراط سوي مستقيم . فنحمده ونشكره ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع اخوانه الأنبياء والمرسلين . والملائكة المقربين . وكل اصحابه ومن تبعهم ممن كانت محبتهم غاية مأموله امين .

اما بعد — فقد اطلعت على القصيدة الفوزية العرفانية لناظمها العارف بربه حضرة التقي الصالح احمد بك فوزي طوبجي زاده . بلغه الله المراد وزياده . وامعنت النظر في شرحها هذا الذي أبان معانيها . واجمل مبانيها . وهو للصفي الوفي العارف بمولاه حضرة ابراهيم بك محمد القادري الحسني فحمدت الحق تعالى على هذه النعمة نعمة المسعى في محو الشرك جليه وخفيه التي لا سبيل للوصول اليها الا بالاقبال التام على محبة الله ورسوله ودوام الذكر وحسن الفكر في مثل ماحوته هذه القصيدة ووعاه شرحها فنرجوه تعالى ان ينفع بهما من تلقاها بقلب سليم انه ولي الاجابة والتوفيق امين

تحريراً في يوم الاثنين المبارك الموافق خمسة عشر خلت من شهر الحجه عام سنة ١٣١٩ هجرية

كتبه الفقير الى الله تعالى

محمد خيامي الحنفي قاضي جرجا الشرعي

سابقاً عفي عنه

وقال حضرة الفاضل النحرير والكاتب البصير الشيخ محمد الشربتلي المحرر بالجرائد العربية بمصر فأجاد وابدع واروى واشبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الأعلى . والثناء الأغلى . للذي شرح متن تجليه الأقدس الأحدي . بمشاهد ابداع تجليه المقدس الصمدي . سبحانه كان في عماء نقطعت دون قدسه الأسباب والنسب . حتى تعرّف بنواميس الصفات

واقترب . قدر فهدى . اذ بطن فبدا . فانكشفت حقائق الممكن في ديوان الوجوب . وعز الوصول الى اكتناهها بما هي عليه في حضرة الغيوب . فهو الأول كما هو الآخر . وهو الباطن كما هو الظاهر . تقدست حظائر قدسه . عن ان تعمر بغير نفسه . وتقاصرت اعناق العقول . عن ان تحوم حول حقيقته او تجول . ثم الصلاة الموصولة بصلات الرحمانية . على الرحمة الغائيه . والنعمة الذاتيه . والنفحة القدسية . النبي الرسول . دليل الوصول . وبرهان الاعجاز . الذي اضطر بربه النفوس الشريفة . والفطر المنيفة . الى الانحياز . اذ كبح جمح غواياتها . ورد شكائم غاياتها . فتسخرت لمقاصده الالهية . البعيدة عن منازع الهوى والنزغات الشهوية . هو محمد المجد . المعظم الأمجد . لسان التعريف . وبيان التشريف . ونور الحق . وداعي الخلق . صلى الله عليه وعلى آله البررة الأكرمين . وصحبه الطاهرين امين

اما بعد — فان نتائج الفتح الالهي تظهر لكل ذي نظر سليم غير مصروف بقذى من اقذاء المعاصره . او رمد من ارماد المهاترة والثرثره . وهي آثار باهرة تحقق بها حكمة التعليم الالهي المأخوذ من قرآن آية (واتقوا الله ويعلمكم الله) فالتعليم الالهي نتيجة التربية الحقيقيــة والنشأة الصحيحة . على المباديء المشروعة الرجيحة .

ومن هذا القبيل ما اطلعني عليه حضرة الحسيب النسيب والمهذب الصفي السيد ابراهيم بك محمد — وذلك الذي اطلعني عليه هو شرح شرح

به (القصيدة الهائية الفوزية) الملأى بالحقائق العرفانية والمواجيد الذوقية من نظم حضرة الاخ في الله العارف بربه المتمكن في مذهب السلوك احمد بك فوزي الطوبجي احد نوابغ المتخرجين من ديوان التربية الالهية

ومن غريب ما وجدت في هذا الشرح العجيب من المزايا مطابقته لجل مرادات الناظم حتى كأنهما تنزلا من جدول فيض واحد على فؤاد واحد

فهكذا تكون نتائج الفتح الالهي وهكذا تكون آثار العارفين الموحدين الذين اخلصوا دينهم لله فوفاهم اجرهم غير منقوص. نفعنا الله بنفحات هذه النفثات واعاد علينا من عوائد التقوى فوائد التعليم الصمداني الذي تنبعث عنه اسرار اليقين . وتتشعّ منه انوار الهداية والتمكين . انه سبحانه خير مجيب ومعين .

كتبه الفقير اليه تعالى
محمد محمد الشربتلي
محرر عدة جرائد عربية بمصر

تحريراً في غاية الحجه سنة ١٣١٩

تنبيه — جاء من قبيل الخطأ المطبعي في السطر الحادي عشر بالصفحة ٣٣ (وان تعدوا نعمة لا تحصوها) وصوابها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وفي السطر العاشر من الصفحة الاربعين (بدت لذاتي سؤوني) وصوابها (لذاتي شؤوني) فليلتفت القراء الكرام

رسالة
الشروح العرفانية
على
(القصيدة الهائية الفوزية)

(تأليف)

﴿ حضرة العارف ابراهيم بك محمد الحسيني ﴾

﴿ اما القصيدة ﴾

«فهي من نظم نابغة الحقائق الالهية المرشد النافع»

(احمد بك فوزي الطوبجي)

(وقد وضع الناظم تعليقات على الشرح تبياناً لمراده)

﴿ طبعت على نفقة ﴾

(حضرة الاديب عبد الحميد بك حمدي)

طبع بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر

كلمة لملتزم طبع هذه الشروح العرفانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اما بعد) فلما كانت قصيدة العارف بالله المحب لله الوفي بحقوق الله احمد بك فوزي قد ملئت من آيات الترغيب في حب الله . والترهيب من الانصراف عن الله . والاشتغال بسواه . وكانت الشروح التي افاضها الله على حضرة الفاضل العارف ابراهيم بك محمد الحسيني الشريف وافية بالمقصود منها مبينة لمقاصد الناظم — دفعني حب الخير للمؤمنين الى ان اطبعها على نفقتي وانشرها بين الناس لينتفعوا بها وتتشرب قلوبهم من معانيها ومراميها فحبذا لو قوبل هذا الجميل الملي بمثله من الاقبال على اقتنائها وجعلها في المكانة اللائقة بها والله الموفق وهو وحده الهادي الى اقوم السبل واقربها اليه

وقد ابتدأت بذلك في العشر الاول من شهر الحجه ختام سنة ١٣١٩ تيمناً بطالع يوم عرفة وعيد الأضحية السعيد

ملتزم الطبع

عبد الحميد حمدي

بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى بسر ذاته لسرائر افئدة المقربين * وبه الاعانة اذ تعينت شؤون صفاته في شهادة اسرار قلوب المحققين * ورقى لذرى اعلا المراتب العلية مقامات اهل الولاية من الكاملين والمكملين * وانار بنور الحقيقة العرفانية مصباح مشاهدة العارفين * واسكر من صرف سلاف صفاء محبته ما تجوهر من ارواح المحبين . وبصر بنور الهداية الايمانية ما تبصر من ابصار بصائر المتبصرين . وثبت في منهج سير الحقيقة أقدام إقدام قدوم السالكين * وهدى الى اقرب وسيلة من سبقت العناية الالهية بهدايته من المهتدين * ونزه في روضة قدس انسه ألباب عقول المتدبرين * وقرب بخفي الطاف رحمته لاهل الضراعة والخشوع من المناجين * الازلي الذي انفرد بسر احدية وحدانيته فسرت اليه سرائر اسرار الموحدين * وتوحد تحقيق واحديته فنطقت بوحدته ألسن سائر معلوماته من العالمين * واتصف

بعزة صمدانيته فصمدت اليه نفوس الصمدانيين * وتردى برداء كبرياء
عظمة كماله فخضعت له رؤس المتجبرين * وأتزر بازار الجلال فحارت فيه
ألباب المتقولين * وتقدس عن سائر شبه تشبيه اغاليط الملحدين * القدير
الذي اخترع اعيان المكونات على اختلاف مقامات القاصدين منهم
والسائرين * واتقن بحكمة صنعه بدائع غرائب صورها واشكالها من غير
شريك له في ذلك او معين * ووسمها قهراً بالعجز عن ادراك سلطان
العقل من المتعقلين * واخرس عند الاعتراف بالاقتدار فصائح الالسن من
الناطقين . واحرقت انوار جلال عظمة سبحات وجهه لطائف افهام المتفكرين *
الحكيم الذي فتق رتق الاكوان من غيب العلم الى باطن الارادة الى
ظاهر القدرة الى وجود الذر الى بروز الفطر الى اختراع التركيب والتكوين *
احمده حمداً يستغرق حمد جميع الحامدين * واشكره شكر المستمدين
والمستزيدين * وأومن به وبجميع ما اخبر به ايمان العارفين والمحققين *
واستهديه هداية المريدين والسالكين * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له كما أمرت وكما شهدت عن تحقيق ويقين * شهادة من اضطر برق
عبوديته اليه * واعتمد في احواله واقواله وافعاله عليه * في كل وقت
وحين * واشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اختاره من خواص النبيين
والمرسلين * واصطفاه من خلاصة المقربين والصديقين * عين تعين حقائق
الاولياء والعارفين . وزبدة جواهر الشهداء والصالحين * مركز محيط الدائرة
العظمي وسر طه ويس * صاحب مقام قاب قوسين اوادنى من قاب قوسين

في حضرة الملك المبين . صلى الله عليه وعلى آله وصحابته اجمعين .
وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بالعجز والتقصير . الراجي رحمة
ربه القدير . المستشفع بنبيه البشير النذير ابراهيم بن محمد الحسيني نسبة الشاذلي
الادريسي النقشبندي طريقة القادري حقيقة المصري بلدة — بينما كنت ذات
ليلة بمنزل الاخ في الله تعالى العارف الكامل صاحب المواهب السنية
واللطائف الالهية . الذي هو سر اسرار الحان . المترنم برنة الالحان . الفائق
الولهان . الصاحي السكران . روح ارواح الاواني . وعين اعيان المعاني . قرة عين
اهل التداني . مسلك السالكين ومربي المريدين وهو ابو الفتح احمد بك
فوزي طوبجي زاده نائب الامام . العارف الهمام . العالم الرباني . المحقق الصمداني
صاحب النفحات الالهية . والمعارف الربانية . من هو لبديع اسرار المعاني مبنى
استاذنا وقدوتنا السيد علي ابو النور الجربي الاسنى . شيخ طريقة السادة
الادريسية بمصر المحمية امدنا الله بمدده — اذ اقبل علينا اخوان الصفاء وخلان
الوفاء فأشرقت انوار السرور . وتجلت فيها عرائس الحبور اذ يعجز فؤادي في
وصف ما سرني في هذه الليلة من الابتهاج الزائد . والسرور المتزايد ثم أحضر لنا
ديواناً له يحتوي على تحف من القصائد الملآى بالمواجيد في المقامات الاسمائية
والصفاتية وبالاطلاع عليها ظهر انها غرر معان تحلت بها طروس المباني وجمل
امان انصرف اليها فؤاد العاني . بل درر اهداها البحر لوراده . وقلائد صاغها
الدهر لاولاده . فعوذتها برب الناس . من شر كل خناس . فانتعشت ارواحنا
بنفحات ما اشتملت عليه . وما من المعاني اشارت اليه . وقد تليت من ذلك

الديوان قصيدة هائية بهية على الاخوان فلئت سماعها آذان القلوب لانها جمعت
لطائف المتن . وظهرت باحسن مظهر حسن . تشتمل على اسرار معارف الهية
ونفحات عوارف ربانية . لم تسمح الايام بمثلها لاعتزازها . ولم ينسج زهر
اللطائف على كم المعارف مثل طرازها . ولا يمكن وصفها بلسان العباره . ولا
يقدر على نعتها بيان الاشاره . لما احتوت عليه من صنائع لطائف كلمات لفظية
وبدائع غرائب ترشيحات شعرية فانه رضي الله عنه نسجها على خير منوال
وسلك بها طريق التوله في الطف ما يمكن من الاعتدال . وبين فيها طريق
السالكين . ومنازل السائرين . الى الله وأودع فيها مقامات العارفين .
ومراتب الموحدين . مشيراً الى كمالات الكاملين . كاشفاً عن اشارات
المحققين والمدققين الذين بلغوا نهاية المراتب والكمالات . ووصلو الى اعلا
المقامات والدرجات فجزاه الله الخير بمنه وكرمه

ولما لاح للاخوان ما تضمنته الفاظ تلك القصيدة من العارف
والاسرار العلية . وما احتوت قوافي شعرها من بديع التوضيح وخفي
الاستعارات وماحازته من اصناف المعاني ولطيف الاشارات . رغبوا في
شرحها لاظهار نفيسها . ولحسن ظنهم بي اشارو الي بذلك مع عجزي وانى
لمثلي الخوض في مثل هذا البحر العباب ولكن لم اجد الى المخالفة سبيلاً فأجريت
سفينتي في ذلك البحر وقلت — بسم الله مجراها ومرساها — وتوجهت
بقلبي الى الله تعالى وفوضت امري الى ذاته وقمت طارقاً باب الالتجاء . ماداً
أكفّ التوسل والرجاء . فاجابني من يجيب المضطر اذا دعاه . ويعلم سره

ونجواه . والهمت من الذي هو على كل شيء قدير ان اكتب ما قد وضعته
واظهر ما رقمته . ولما صفت الاواني . بصفاء خمرة المعاني . وشاهدت بجناني
ما امتلأ به كياني وطفح من دناني ما سرّ به اخواني أخذ في الرقم بناني
وتقوت بعون الله اللطيفة الانسانية وافيض عليها من انواع المعارف الالهية
ما طمست به الخواطر النفسية . وتجلت انوار الحقائق القدسية . فبدرت
البدور وطلعت الطوالع . وظهرت الشموس السواطع . اذ بطنت الانية .
وظهرت الهوية . وشرعت في المقصود مغترفاً من بحار فيض الرحمة والجود
ولم ازل مجتهداً فيما قصدته منها الى ان شرحت تلك القصيدة بقدر ما يسره
الله وسميتها (الشروح العرفانية في القصيدة الهائية الفوزية) وها انا اشرع
في ايراد ما الفت مستعيناً بالله فاقول   قال الناظم رضي الله عنه

آية العشق للفؤاد تلاها   باعث الشوق والتخلي تلاهى

لما كان العشق هو منتهى ادوار الحب لأن التعشق يقتضي حصول المحبة
افتتح الناظم رضي الله عنه قصيدته بها لاندماج اسرار الصلة الالهية فيها
وارشادها الى سبل التبادل في المحبة الالهية التي هي تنزل آي مجدها على
فؤاد العبد من حظيرة قدس الرب كما قال تعالى (يحبهم ويحبونه) فلو لا
مفهوم لفظ (يحبهم) ما ظهر مدلول مبني (يحبونه)

فاذا ظهرت المحبة الالهية وتحلى بفضائلها فؤاد العبد الهمه الله اسرار
معاني القرآن العظيم وانكشفت له العلوم الربية والمعارف والحقائق الشهودية
فكانت تلك المحبة للقرآن العظيم كالسياج المعنوي والمشتمل المقدس على

مثال اشتمال المصحف لسوره القديمة فلهذا تسنى للمحب ان يجلها كالمصحف والدليل على تقديس المحبة الالهية ما جاء في الحديث القدسي من قوله (نخلقت الخلق وتحببت اليهم) والمحبوب الحقيقي هو الذي تقهر محبته عواطف المحب وتجعله منصرفاً عن سوى المحبوب وتضطره للسير في سبل مرضاته التي من سار على قدمها انقاد لحكم الوزع وكان سيره مقروناً بالتخلية والهجرة الى المحبوب على مركب الود بين سائق من التوفيق وقائد من التحقيق بسابقة العناية ونور الكشف والهداية

والمراد بالمحبة هنا حنان الروح الى عالمها الامري وفزعها الى اكتساب رضاء الحق تعالى وشغفها بالوقوف على معاني التجليات الذاتية التي هي اوصافه الحسنى وليست بزائدة على ذاته لانها واحدة ولا وجود لشيء معها . ومرتبة ذات المحبوب هي الكمال الحقيقي والجمال الصرف ومن لوازم الكمال والجمال المحبة

والخلق في المحبة على مراتب لا محل لذكرها هنا خشية الاطالة المنافية لما توخيناه من حب الاختصار

ومحبة الذات هي الغاية القصوى فانه متى وصل السالك اليها انتقل الى الفناء (١) وهكذا ينتقل في مراتب المحبة مرتبة بعد مرتبة حتى تسمو

(١) الفناء مرتبة اصطلح عليها الصوفية يقصدون منها انصراف فؤاد العبد وجوارحه عن الاشتغال بغير الرب وتناسي كل كائن في حضرة المكوّن جل وعلا . فهي بهذا الاعتبار مرتبة شريفة عالية لا ينالها الا الموفقون الابرار والمطهرون الاخيار . وهي اشرف من مرتبة الكشف والجذب لانطواء اسرار سرائر القدس الاعلى في طريق الفاني

همته عن الأكوان فيسكر ثم يغيب ويفنى مع شعوره بالفناء حتى يصل الى مرتبة فناء الفنا (١) ولا يحس بشيء شعوراً وحساً واعتباراً ولا يقف عند عقله او وهمه بل لا يرتبط في مراشده ومراقيه الا بالحق للحق في الحق

وهذا مقام الفتح والبداية . يعني بداية المعرفة وصاحبه اذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي على مراقي المقامات الى الأبد

ثم اعلم ان محبة الذات العلية صعبة المرام ولا تكون الا للعارف الكامل . وصاحب هذا المقام هو صاحب المراقبة العظمى المرتقب للحضرة الالهية وما يبرز عنها من التجليات على اختلافها ويعطى كل تجل منها ما يستحقه . وهذه المحبة هي سمة الطائفة اي علامة السائرين الى الله . بها يعرفون واليها ينسبون . وهي عنوان الطريقة تظهر آثارها على صفحات وجوه اربابها وصفات أحوالهم وهيئات اعضائهم وزفرات انفاسهم وعبرات اعينهم وفلتات السنتهم ونحولهم وذبولهم وحرقهم ورقهم وهلم جراً مما يطول الشرح فيه . وذلك من كثرة ذكر المحبوب حتى يتلاشى السوى ويتولد التوق والشوق الذين تتبعهما اعراض المحبة فاذا تأصلت تجلت سطوة العشق وقهرت النفس على خلع العذار فلا تستطيع صداً ولا رداً . وقد تدل ايضاً آية العشق على أحوال أهل الطريقة في اطوارهم

الذي لا يحيا الا بالبقاء في حضرة الحضرات ومشاهد تجلي الذات وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون

(١) فناء الفناء هو البقاء الذاتي الذي تنقطع دونه نسبُ واعتبارات الكائن الحادث

وسيرهم وسلوكهم وتنير لهم سبيل الفتح والوصول

اذهي التي تعقد نسبة العبودية والربوبية بين العبد والرب في المحبة والمحبوبية لأن المحب الصادق لايشهد الا محبوبه ولاينجذب الااليه. ويقال ايضاً في المحبة انها هي القربى والطاعة. ومن هنا رأي الناظم انها آية من الله اي برهان على الوفاء وسلامة الصلة ولذلك كانت معهد اختبار وابتلاء منه تعالى ويحسن هنا الاستشهاد بقول الذائق المتمكن حيث قال

لم يكن لي في سواك حظ * كيفما شئت فاختبرني

فهي وان كانت موهبة في ذاتها لكنها مدعاة الى تحقق المحنة وظهور أثرها في الخارج

كما ان الذنوب والمخالفات بلاء من الله ومحنة للعبد قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)

فالحسنات والخيرات بلاء ومحنة وهو البلاء الحسن الذي قال عنه تعالى (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً) وهو بلاء الانبياء والاوليا فالصالحين كما جاء في الحديث (اشد الناس بلاء الانبياء فالاولياء ثم الامثل فالامثل)

فالمحبة يا اخي هي أصل الطريق وبها يتسنى السير الى عين التحقيق. فاذا وصل السالك احبه الله فكان سمعه وبصره وكليته لقوله في الحديث فاذا احببته كنت الخ ولذلك قال الناظم ان باعث شوقه للحضرة الالهية تلى لفؤاده اي قلبه آية عشق المحبوب الحقيقي وهو الله تعالى لأن الحسن

المطلق لذلك المحبوب وكل الجمال الذاتي له ومنه

اما الخلي من ذلك العشق المتلاهي باللهو الدنيوي الغبي المهجور بسبب وقوفه مع الاغيار بما هو مستول عليه من الرين القلبي المحتجب بظلمة الاكوان عن مشاهدة نور الوجود المتجلي على عروش الاعيان فهو ممقوت لتجرده من العشق وان عشق فعشقه فاسد ناشيء عن مرض وسواسي تخيله الى نفسه الغواية الشهوية بتسليط فكره على استحسان بعض الصور الكونية. وهذا ليس بعشق حقيقي بل هو مجازي لا يتعلق الا بعشق الصور لا المصور والله اعلم ثم قال

افلح الصب مذ دراها فزكى (١) نفسه بالهوى وما دساها

الصب صفة مشبهة من الصبابة وهي الميل والحنو والرقة في القلب يعني ان محب الحضرة العلية هو الصب الذي افلح بهواه الحقيقي مذدرى بآية العشق اي تيقظ من نوم الغفلة بالباعث الشوقي الذي تحسم به شرور النفس ودسائسها وقد تحقق بهبة الله تعالى اليه بالمحبة له وانتبه من رقدة الجهالة باسرار آية (يحبهم ويحبونه) فتزكت نفسه وتطهرت بماء المحبوبية

(١) مرادي من هذا البيت بيان ان مجرد الدراية والمعرفة برهان الفلاح والنجاح لما يترتب على المعرفة من تزكية النفس وتخليتها من اوضار الاغيار حتى تصبح نفساً ملكية تجول في حظائر القدس على قدم الحكمة والرشد والسداد ولولا ان الشارح يتمثل بحديث (ان من العلوم علوماً لا يعلمها الا العرفاء بالله فاذا ذكروها انكرها اهل الغرة بالله) وقول الشاعر

من ارجاس الغيرية وما دساها اي اخفاها يعني المحبة بالمعصية .

واشار في ذلك الى المعنى الاشاري المأخوذ من قوله تعالى (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب) اي خسر (من دساها)أي آثر الكون على المكون فان المحبة لا تترك لغير المحبوب محبة وهى التي تضطر الجوارح لان تلهج بكثرة ذكره وتحمل الوجد ان على المجاهرة وعدم الاستنامة الى الكتمان لفرط تعلق القلب بشهود الرحمن وذلك من لوازم الحب وضرورياته وهى تنشأ عن مطالعة حسن الصفات وتجلياتها وتجذب الى طلب شهود الذات وسبحات جمالها والنظر في الآيات البينات الدالة على كمال الذات وهى انوار تجليات الصفات على صفحات الموجودات كما قيل

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

ثم اعلم أن محبة الذات تختطف المحب من اودية شتات المقتضيات الى حضرة جمع الصفات فتكسب العقل والفهم نوراً ربانياً يستضيآن به في مشاهد الحضرات الذاتية لأن كشف سبحات جلال الصفات يتأتى

يارب جوهر علم لو ابوح به ☆ لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
☆ ولا ستحل رجال مسلمون دمي ☆ يرون اقبح ما ياتونه حسنا ☆

لا بان كل المقاصد العالية ولاحتاجت الابانة الى صفحات كثيرة ولكنه سكت لحكمة شرحناها . ويكفي من المقاصد ان يكون الحب بداية السالك وهو بعينه نهاية الواصل تحقيقاً لما جاء في التوراة من ان (الله محبة)فحبذا الحال وحبذا صاحبه وجزى الله الشارح خيراً

بسطوع نور جمال الذات . فلا تبقى للغير عيناً ولا اثراً فتنقطع العبارة بالضرورة لانها موقوفة على ادراك العقل والفهم الذين جمدا عن فضيلة التجوال في حضرات الجلال والكمال

(١) واشارات التوحيد قد تكون بالحق للحق وهى تدق وتلطف وتدل على الحق بالحق وهى في الحقيقة من تعرفات الحق بذاته الى قلوب عرفائه فلا فائدة في تعينها ولا مدخل للغير فيها لأنها لا تنتهي بالنعوت فهي وراء النعوت وكل ما نعت بها يتعذر به الوصول الى كنهها . فلا تنتهى معرفتها الا بوجدانها ووجدانها يغنى عن تعريفها وعرفانها . فهي قطب دائرة السلوك الى الله الذي عليه مدار طريقة السادة الصوفية لأن العمدة في السلوك عندهم على ترك الاغراض والاعواض

---

(١) قول الشارح واشارات التوحيد قد تكون الخ) فيه تسامح مغتفر . لان الغرض من هذا البيت الذي نحن بصدده ان الدراية بآية العشق مدعاة الى حصول الفلاح والدراية مبالغة في المعرفة والمعرفة لا تقتضى الا التعرف الصادق الذي يبعث في النفس حسن اليقين والاذعان للمتعرف . وليس ثمت موجب لذكر الاشارات مع اننا في مقام العبارات الدالة على ما وراءها من معاني الخلوص من الشوائب والاتصال بالعالم الامري الالهى . وجدير بالعقل الذي اكتسب نور المعرفة الصحيحة ان يكون انسان العقول ورسول الحقائق الداعي اليها بوسائل الدقائق والرقائق بعد التعرض لنفحات الفيض المقدس الذي تحلى باسراره سرائر العارفين الذين لا يخلطون في تعرف او تطرف ولا تذهب بيقينهم شهب الشبهات مذاهب البروق الخلب في الليل البهيم اعاذنا الله وعافانا . وعذر الشارح حفظه الله تورط اهل هذا الزمن بحجن ظنونها منناً فلم يبح بكل ما يقال في هذا المقام حرصاً على قصار الافهام من السقوط في وحول بتعذر النهوض منها اه

ابتغاء وجه الله تعالى ولا يطلب محض هذه الحقيقة الا صاحب هذه المحبة فمن بعثته على الطلب هذه المحبة فهو الفائز بنهاية البغية وما دونها من المحبات قد نادت عليها الألسن أي وصفها . ويمكن التعبير عنها لأنها مجعولة معقولة متعلقة بالاغراض ولا تقتضي الفناء بل تقتضي الوجود الوهمي والتبله والعته وفساد العواطف وتقييدها بقيود الخيال المتلاصقة اشباحه والزائلة ارواحه وتطلب النفع واللذة ولهذا ادعاها المحجوبون عن مشاهد الحب الذاتي لامكان حصولها لهم سواء كانت دعواهم صادقة او كاذبة . أما محبة الافعال كالاحسان والانعام فالعقل يحكم بوجوبها ويطلب النفع بموجبها ولا يأمر بالفعل الا لغرض يحكم وجوب محبة المنعم والمحسن لوجوب الشكر بازاء النعمة بخلاف محبة حضرة جمع الذات فهي من وراء العقل (١) يبهره نورها ويعزله عن الحكم ولا برهان عليها الا وجودها ويثبتها شهودها والله أعلم ثم قال الناظم

---

(١) اذ ليس للعقل مجال في الصفات المخالفة لصفات الحوادث والغير المحدودة بحد . وكل شيء يطارد الاوهام يعتبر حقيقة من الحقايق . فكأن الحب الشهواني موهوم والحب الحقاني ثابت بمقتضى ناموس رجوع الشيء الى اصله . يفسر لك ايها المطلع ذلك انطواء الشجرة الكبيرة في النواة الصغيرة وكون الفرع اذا افلح ونجح يثمر اصله . فان الشجرة الغير العقيمة هي التي تثمر النواة . ومعلوم ان النواة اصل الشجره فقس على ذلك اولئك المفلحين الذين دانوا لسلطان الحب في المحبوب الحق المطلق فان حبهم هذا هو اصلهم الذي به ظهروا وعلى ناموسه وجدوا وانتشروا . فحق لهم ان يثمروا هذه الثمرة الصالحة اما الذي خبث فلا يخرج الا نكداً . فتأمل وافهم ولا يحجبك الوهم عن الحقيقة

وخلي الفؤاد منها تردى (١) ثوب ذل وقد كواه جفاها

يريد الناظم والله أعلم بخلي الفؤاد المحجوب بالعوائد أسير القلب في قبضة الشهوات المقيد بقيود العادات الذي لم يتصل قلبه بالعالم الروحاني بل هو طول عمره للفضول جان مترديا ثوب ذل حيث انكوى فؤاده بنيران جفوة المعاني

فان العالم الروحاني هو مبعث العوامل القلبية التي بها تصح الطاعات وتبطل بعدمها ولولاها لكان الانسان من جملة البهائم . وانما فضل من

---

(١) يمكن اعتبار السالك المتعسف في سلوكه مقصوداً من هذا البيت لانه يعد مجفواً دائم العبودة ومتشعراً بشعار الذل والخضوع التام . اذ العقبات الكثيرة تتمثل امامه وهو سالك فيمتلأ وحشة و يكاد يحترق مهتبلاً في السير

وكل ذلك نتيجة فقدان صحة الارشاد وقوة الدلالة . اما اذا تولى السالك مربٍّ واصل فانه يرقيه و يزيل كل قتادٍ اعترض سبيله بنجاد همته العالية و بصفي سريرته فتصفوا مشاربه حيث اوقفه مرشده في موقف الصلة الصالحة ثم ناداه قائلاً — ها انت وربك — وقليل من المرشدين من ينحو هذا النحو العالي وترتفع به همته الى هذه السدرة المقدسة

بيد اني بكل فخر واعجاب اعتبر استاذي الذي رباني كذلك وهو العارف بالله السيد علي ابو النور الجربي الاسكندري . وكيف لا اعتبره ذلك المربي الرفيع الهمة الخبير باحوال التربية الصحيحة . وقد مهد لي سبلاً كثيرة رأيته فيها آخذاً بيدي ومزيلاً لكل عقبة فليهنأ به عارفوه

واما ما توخاه الشارح حفظه الله فهو ما يعطيه ظاهر القريض . ولقد صدق القائلون ان المعنى في بطن الشاعر . على ان ما اراده الشارح جيدٌ وكاشف لما يراد على طريقة الابرار الذين اشتغلوا بربهم عما سواه فامتلأوا نوراً

فضل بصلاح قلبه والجسم ليس الا من مسخرات القلب فاذا صار القلب من مسخرات الجسم صار الملك مملوكاً والحاكم محكوماً عليه . فهو في رداء الذل وكربته لفقد الرفقاء والاخوان المتمشين على جادّة الجد والتشمير الراكبين لمطايا الهمم والعزم يرجون قطع العوائق الحاجبة لأنوار القلوب المستمدة من عطايا الرب . ويمكن اعتبار خلي الفؤاد . بأنه هو الذي خلا عن روح العزة الاحدية التي تتحقق بها المناسبة بين الفرع والاصل وتتم الصلة ويمتنع سبب الجفاء فافهم قال الناظم

قد قلبي قوامها مذ تثنت (١) في رياض يفوح عرف شذاها

لما ذكر الناظم آية العشق الذي تلاها لقلبه باعث الشوق وذكر لهو

(١) مرادي من هذا البيت الاشارة الى مقامين جليلين وهما مقام الاحدية ومقام الواحدية فان التثني هو التجلي بالاسماء العلية المقتضية للكثرة مثل اقتضاء اسم الخالق للمخلوق والرازق للمرزوق وهكذا والمراد بالرياض التي يضوع عرفها الشذي هنا عرصات ذلك التجلي ومشاهده البديعة التى تظهر فيها حكم الجلال وبدائع الجمال . واذا سطى الجمال بسيف الجلال فلا بد وان يظهر اثرٌ لسطوته في فؤاد العاني المشاهد الذي وصلت به عناية الحق الى مغاني المعاني العالية فشاهد بعين قلبه مشاهد صنع ربه . وليس في هذا الكلام ما يفيد التحيز او الاتحاد او الحلول كما يتوهمه القاصرون . بل ربنا سبحانه فوق كل فوق واسمى من ان تكيفه العقول او تحيط به دوائر شهود العارفين . وانما يغترف كل وارد من بحر الفيض علي قدر استعداده و يلتقط من بذور المدد ما تسعه حوصلته و يطير في جو المعرفة على قدر قوة جناحيه فافهم وادّكر واجعل لربك وقتاً تصطلح فيه معه بالتوبة من الحوبة وهو سبحانه عفوٌ غفور يقبل العبد المنيب الاوّاه اذا نفض عن فؤاده غبار الاغيار وتعرض لنفحات الحق القهار الذي هو على كل شيء قدير

الخلي عنه وفلاح الصب الذي دري بالعشق وذاقه وتحقق به حتى تركت نفسه بهوى المحبوب أخذ يبث ما يجده من ألم العشق في محبته للحق لأن الاشواق كلها الى الاشياء الكونية على اختلاف أنواعها هي أشواق الى الحق من حيث ان كل شيء منها متشوق اليه حجاب على الحق الذي هو وراءه كما قال تعالى (والله من ورائهم محيط) ومعنى الوراء هنا المغايرة المطلقة لا الجهة المقيدة

فلو زال الحجاب عن كل مبتل لرأى بلاءه بالحق للحق وشوقه بالحق للحق فيزيد البلاء ويزداد الشوق اضعاف ما كان . فقال قدّ قلبي قوامها مذ تثنت أي انقطع نياط قلبي لان القلب متى قطع نياطه فبالضرورة تبطل الحياة الوهمية العدمية ويعنى بذلك الموت الاختياري بفناء الانسانية النفسانيه والتحقق بوفا العهود الربانية والموت الاختياري المذكور غير الاضطراري ولهذا كان شهداء المحبة الذين قتلوا بسيوف المجاهدة الشرعية التي قال تعالى فيها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي الطريق الموصلة الينا . وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموا تاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وفي الحديث (موتوا قبل ان تموتوا) يعني موتوا اختياراً قبل ان تموتوا اضطراراً . وكنى الناظم عن قوامها بمشهد قيومية الحق على كل نفس . فان النفس فانية مضمحلة في نفسها وهي عند نفسها عدم صرف وانما تحقق قيامها بقيومة الحق تعالى وظهور الامر الالهي فيها كظهور النور في الظلمة . والتثني هو عبارة عما يظهر للمحب في صورة

تجلي محبوبه الحق المطلق عليه من معاني الجلال والجمال والكمال وقوله
في رياض يفوح عرف شذاها — يعني ان عرف طيب الحبيب ونفاسته هي
أرجى عنده من نشر الطيب في الحديث(اني لأجد نفس الرحمن يأتيني
من قبل اليمن)فكان الانصار أهل اليمن فسماهم عليه الصلاة والسلام نفس
الرحمن كما قال(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)
فهم نفس الرحمن المتجلي على العرش الذي نفس الله به الكرب عن قلوب
المؤمنين وكنى بعرف الشذا الى طيب رائحة ايمانه بالحق والله تعالى أعلم
قال الناظم

كان منها الحنو نحو مشوق يا ترى عن وصاله من نهاها

الحنو العطف والميل والمحبة والهوى ولما كانت الحضرة الالهية لها
التجلي والاستتار على حسب مايشاء ويختار اقتضت آية المحبة الحنو وأبانت
لهذا المشوق تجلي المحبوب نحوه وشاهد بتلك الآية تجليات الحضرة الالهية
ظاهرة في كل شيء من معنى ومحسوس فاهتدى بها الى نور هذه
التجليات الخلقيه والامرية أي الجسمانية والروحانية. ومن الحنو الرأفة قال
تعالى (إن الله رؤف بالعباد)

وقوله نحو مشوق — الشوق هو الذي تولد من المحبة الالهية وهو
تهييج القلوب الى المحبوب. وعلى قدر المحبة يكون الشوق. وفرق بين الشوق
والاشتياق فان الشوق يسكن باللقاء والرؤية. والاشتياق لا يزول باللقاء

وهو اجل مقام للعارفين واذا تحقق العارف بالشيء لهى عن كل شيء يشغله
عمن يشتاق اليه

قيل أوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني
كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً الي
وتقطعت أوصالهم في محبتي يا داوود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف
في المقبلين علي

فللخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق قال صلى
الله عليه وسلم « أسألك الشوق الى لقائك » وقوله يا ترى الى آخر البيت
استفهام انكاري يشعر بالحيلة أو باستدلاله على تعذر الوصال بالمحبوب
فان الغافلين عن معرفة ربهم يظنون ان المخلوق يصل الى ادراك الخالق
كما يصل الى ادراك أمثاله من المخلوقين ولا يعلمون ان الطريق وعر وكله
سلوك من الأزل الى الابد فلا يمكن الوصول الى المحبوب الحقيقي أو
ادراكه لأن ذلك محال وليس للمخلوق اليه مجال البتة والله أعلم ثم قال
الناظم

وفؤادي بعشقها صار مضنى ذا شجون بحبها يتباهى

يعني ان فؤاده بسبب هذه المحبة الالهية صار ذا شجون وضنى
وذلك من علامة الحب الذي هو الوسيلة العظمى بين الحادث والقديم
والوصلة السببية بين الحقير والعظيم. فكان هذا هو السبب للتباهي لأن

الحب في الله يحيي القلب بالحياة القديمة الأزلية الأبدية لا الحياه الطبيعية الحادثة الفانية وحق لهذا الشجي ان يتباهى بمثل ذلك فان المحبة هي آخر طور من أطوار العلم وأول طور من أطوار المعرفة وهي الحالة البرزخية ولهذا يذكرها العارفون في ابتداء قصائدهم السلوكية ويشرحون أحوالها والله أعلم = ثم قال الناظم =

ما تغنت حمائم الروض الا طار قلبي على غصون رباها

يعني أن فؤاده كلما غنت حمائم الروض وسمعها تذكر محبوبه فطار قلبه بقباها على غصون رباها تلهفاً بهوى المحبوب لسبب اشتغاله به . وكنى بحمائم الروض الى قوى الروح المنفوخ فيه لانه منبعث عن أمر ربه وطيران القلب عبارة عن سفره بالمعارف شوقاً للعلوم الالهية التي تثيرها فيه الروح الامرية المذكورة حيث تأتيه بالاخبار الربانية من الحضرة الرحمانية بالواردات الربانية من المقام الصمداني فلا يزال مسافراً بالاعمال البدنية والانفاس والتوجهات القلبية من عمل الى عمل ومن حال الى حال مع معية الله تعالى في جميع تلك الاسفار كما قال (وهو معكم أينما كنتم) والله تعالى أعلم = ثم قال الناظم =

هذه هذه لواعج شوقي وغرامي بحسنها وبهاها

كأن الناظم يقول يا من يسألني عن الامر العظيم الذي حيرني في حالة العشق والضنى والشجون ولواعج الشوق وغير ذلك لو شئت الاطلاع

على حقيقة الأمر لاكتفيت بالاشارة عنها بما هو ظاهر للعيان وغني عن التبيان واستغنيت برؤية هذا الهيكل الظاهر بتلك العلامات الناشئة عن المحبة واكتفيت عن الاخبار بحسنها الذي تسفر عنه مظاهر اسماء الذات العلية والصفات السنية . لان الآثار الحاملة لذلك السر المصون لما فاحت روائحها الزكية عطرت الاكوان وما حرم شمها الا المزكوم عن الادراك والتحقق ببدائع العلوم وفنون الفهوم قال العارف النابلسي

هذه الاكوان أجمعها * شمة من وردة الأزل

والله تعالى أعلم ثم قال

عرجوا بي على منازل سلمى على ان أشتفي برشف لماها

كم اوري بذكر سلمى وقلبي ليس يصبو لغير من اهواها

من تأمل معاني هذين البيتين علم ان هذا الكلام يدل على ان قائله مؤيد بالعناية الربانية والسعادة الأزلية فلا يدرك معنى هذا الكلام الا من اتصف بالشوق وأحرز لذة التوق من شدة المحبة . فانه لما غلبت على الناظم رضي الله عنه الواردات القلبية والخواطر الرحمانية جرد مواسين مشفقين وطلب منهم ان يعرجوا به على منازل ليلاه ليشهد معاني الجمال التي تجلت حضراته في مشاهد سلماه . أي منازل مقامات المحبة في الحضرات الالهية والتجليات الربانية الظاهرة بصور الأعيان الكونية وهي تقريب العبد بمقتضى العناية الالهية المهيئة لكل ما يحتاج اليه من مثل

طي منازل الحب بلا كلفة وسعي منه

أو كنى الناظم بها عن حضرة الكلام الالهي الذي ليس بحرف ولا صوت. أو اشار الى بحر التوحيد فان هذا البحر كل من شرب منه لا يزال ظمآن وان كان منه ملآن فهو مجتهد ليرى طيف محبوبه ويرتوى فلا يمكنه الري. ولا دواء له غير الفناء والاضمحلال بالكلية والاستحالة. أو طاب ذلك من شيخه رضي الله عنه ومن اخوانه أهل وده في الله العارفين الكاملين المعمرين أوقاتهم بذكر الله تعالى على الكشف والشهود القائمين لله بصدق العبودية

ولما كان الحب في الله يقتضي الحرقة والتعطش والشوق والوجد والهيام والفناء فيه فاقتضى تعطشه وتولعه بالغرام ان يطلب الوصال ويذوق لماه على ان يشتفي فؤاده ويحيا به واللمى الريق وهو ماء الفم لكنه كنى عنه بلطائف المناجاة السرية بالمعاني الربانية اوكني به عن العلم الالهي الذي يظهر من حضرة الامر الرباني للقلب الروحاني وليس القصد انه يرجو انطفاء حرارة الشوق برشف اللمى بل لغرض الاتصال بالمحبوب اتصال معدوم مقدر مصور بالمقدر المصوّر لا اتصال موجود بموجود فان ذلك مستحيل عقلاً وشرعاً

ثم قال الناظم انه لا يصبو أي لا يميل لغير من يهوى أي لا يلتفت الى المحجوب الواقف مع الاكوان لا مع المكون المتلبس بالسوى فانه لا يدرى الحقيقة لعمى بصيرته عن الحق والله أعلم ثم قال

شمس انس بها القلوب تفانت (١)

حبذا عشقها وترك سواها

يعني لما ظهرت شمس الوجود الحق في مظاهر تقدير الاعيان الكونية أشرق على قلوب المحبين نور الانس فتفانت. والتفاني انما هو لكمال استحضار عظمة المحبوب في القلب وظهور سطوات أوصافه الجلالية ولمحات أنواره الجمالية

والتفاني في الذات نتيجة مشاهدة تفاصيل الحسن والجمال المتفرقة في الاكوان مع جمعها في الجمال المطلق الذي اقتضته الذات بناموس صفاتها المقدسة قوله (حبذا عشقها وترك سواها) يعني شمس الجمال الحق والمشاهد الالهية فانها تقضى بعدم تعلق القلب بما سوى المحبوب لان السوى يزول برسومه الفيئية بظهور الوجود ويضمحل في تجلي سر الشهود والمحبة الازلية ظاهرة في مظاهر الآثار الكونية كما جاء في الحديث

---

(١) اعلم ان المراد من هذا البيت بالاجمال هو ان شمس الانس بالله لما سطعت على بروج قلوب العارفين تفانت اي شفت عن اسرار الغيب . لان قلوب العارفين في مشاهد الانس كشخوص قائمة في عرصات هذا النور الملكوتي ولا روح لهذه الشخوص الا الحب الصحيح المقدس فمتى تجلت شمس الانس وهي الشأن الجامع أو حضرة الحضرات او المجلى الذاتي او الوجه الصفاتي او المواجهة الاسمائية تفانت تلك الشخوص وتلاشت نسب هيا كلها العدمية وتوسيت كل الاعتبارات ونودى في ساحة الساحات — لمن الملك اليوم — فيجيب الحق نفسه لما لم يجد سواه — لله الواحد القهار — ومرادي من شمس الانس هنا محبوبي جل وعلا وتنزه وتقدس فهو شمسي وهو مقصودي من كل معني ومبني

القدسي كنت «كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف» فخلقت الخلق في عرفوني
وطلوع شمس الأحدية في الظلمة الكونية هو مجلى الحق ومشهد
نوراني له نواميس ازلية ابدية . أمرها القديم . وحكمها المستقيم . فمن
فهم الاشارة اغنته عن كل عبارة واهل الاذواق يفهمون معاني ما كتب في
الأوراق اما الاسرار ففي قلوب الأحرار . قال بعض العارفين

انظر الى وجهه في كل حادثة   من الكيان ولا تعلم به احدا
فان قلوب الاحرار قبور الاسرار — قال الناظم

ادهشتني بحسنها مذ تجلت   لعيوني من خلف ستر سناها
لمحتنا بعينها فانتعشنا   وتوارت من لطفها وصفاها

الدهش بهتة تأخذ العبد اذا فاجأه ما يغلب عقله او صبره او علمه
بسبب امر عظيم يأتيه بغتة . فالذي يغلب عقله كالشهود والذي يغلب صبره
كالحب والذي يغلب علمه كالتعرف الالهي بالتجلي وهو معرفة تقهر العلم
فالناظم اشار الى ما يؤخذ منه ان حسن تجلي المحبوب للقلوب من نور
الغيوب بالجمال والجلال وحسن شهوده متجلياً في كل شيء اوجب اندهاشه
ولا عجب في ذلك

وقوله من خلف ستر سناها يعني ان للجمال الالهي المطلق جلالا
هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه لذاته فلم يبق احد لقوله تعالى (لمن الملك
اليوم) . وهو علو وله دنو يدنو به منا وهو ظهوره في الكل كما قيل *

جمالك في كل الخلائق سافر * وليس له الا جلالك ساتر
ويعني بالستائر صور الأكوان لانها مظاهر الأسماء الالهية تعرّف
من خلفها كما قيل

تجليت في الاكوان خلف ستورها * فنمت بما ضمت عليه الستائر

أو يعني بالستائر الهيا كل الانسانية المرخاة من عالم الغيب والشهادة والحق
والخلق

ثم اعلم ان جلال الجمال هو احتجاب الحق بتعينات الأكوان فلكل
جمال جلال . ووراء كل جلال جمال . ولما كان في الجلال ونعوته معنى الاحتجاب
والعزة لزمه العلو والقهر من الحضرة الالهية والخضوع منا . ولما كان في
الجمال ونعوته معنى الدنو والسفور لزمه اللطف والرحمة والعطف من
الحضرة الالهية والأنس منا (وقوله لمحتنا) اللمح من لوازم البرق وهو
اول ما يبدو من نور التجليات فيدعو الى الدخول في الطريق وهو السير
في الله لله بالله . لانه نور من نور الاحوال والمواهب وهو ما وعد الله به اولياءه
من القرب والكرامة والزلفى عنده لأن العبد قبل البرق المكنى عنه باللمح
ليس من اهل العطاء بل من اهل المنع لانه مهجور . وذلك اللمح يدعو الى
الوجد الذى يقع بعد الدخول . وذلك الوجد انما هو لهيب يتأجج لشدة
الشوق وتعب الطلب . والبرق اوقع تأثيراً في افئدة المتشوقين الى معاني
التجليات لدى حضرة الحضرات الذين غيبهم عنهم اخلاصهم في القصد
والطلب

ولعل المراد لمعان نور تجلي الاسماء والصفات (وقوله) وتوارت من
لطفها وصفاها — أراد لطف الذات الالهية وانها للطفها محتجبة عن الادراك
لاننا اذا كنا تعجز عن معرفة حقيقة ذواتنا فنحن بذاته أعجز . واعجز . قال
الله تعالى « ويحذركم الله نفسه » فمنعنا عن التفكر في الذات . وفي كلام
الامام علي رضي الله عنه وكرم وجهه « من عرف نفسه فقد عرف ربه »
يعني انه لا يمكن لأحد ان يعرف نفسه . فكأن الحق تعالى جعل النفس
رتبة تعجيز بيننا وبين معرفة ذاته فكأنه كرم الله وجهه يقول اذا عجز
الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة وهي أقرب الاشياء اليه فكيف
بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير والله أعلم ثم قال الناظم

(١) من لصب متيم مستهام قد قضى نحبه شهيد هواها

بعتها النفس وهي مني اشترتها بنعيم اعد يوم لقاها

يعني ليس للصب المتيم المستهام دواء غير انقضاء نحبه أي عمره شهيد
هوى المحبوب لان تتيمه وهيامه انما هو لطلب الوصال والوصال لا يمكن
الا ببذل الروح . ومعنى الهيمان سقوط التماسك عن أن يضبط لانهماك

(١) هذا استفهام لمعنى طلب الظهير والنصير تجرُّداً . والمراد هنا بيان معنى كون الحق كفيلاً ووكيلاً وخليفة عن محبيه الذين انطوت في مشاهدهم كل رسوم الحياة الكونية فلم تبق لديهم بقية للهوى بحكم هذا الهوى الذي ينسى ما سوى المحبوب تحقيقاً لمعنى الشهادة التي هي دليل الحياة قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء الخ)

الهائم في الحيرة وكنى بالهيمان عن دهشته من مواقع برق اللطف الذي هو
من بوارق أنوار الهداية وتيسير اسباب التوفيق والسعادة عند قصد
طريق السلوك الى الله تعالى مع ملاحظة خسة قدر نفسه وحقارته عن
ان يكون أهلاً لملاطفة الحق تعالى . فان ذلك هو أقرب أسباب الهيمان
وهو ينشأ عن تلاطم أمواج التحقيق العلمي الذي هو ميراث العمل الصالح
عند صفاء القلب وتزكية النفس بالمشاهدة الذوقية لا العيانية . وذلك ان
للأحكام الشرعية حكماً ووجوهاً وحيثيات واعتبارات يغفل عنها علماء
الرسوم ولا تحققها الا بالمكاشفة العالمون بها . فانهم اذا صفت بواطنهم
بالعمل على الاخلاص وتكحلت بصائرهم بنور الهداية الحقانية انصبت انهار
العلوم الى أودية فهومهم وتلاطمت امواج بحار الحكم في قلوبهم وانجلت
بصائرهم وتواصلت الى سرائرهم عجائب اسرار الغيب من خزائن قدس الالوهية
في الحضرات الاسمائية ولاحت امام انظارهم انوار الصفات الالهية —
اشتد هيمانهم وطاشت عقولهم وتلاشت افكارهم ولا يخفى ان ذلك نتيجة
التقوى التي هي الاساس الاقوى قال تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » وقال
« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » أي مخرجاً من الجهل الى العلم . ولا
شك ان الباب الذي يتوصل منه الى وصال الحبيب والقرب اليه هو
الموت شهيد المحبة بترك شواغل النفس والخروج عن حكم الطبيعة ومخالفة
النفس والهوى . والنعمة العظمى هي الخروج عن النفس لانها أعظم حجاب
بين العبد والرب وما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى واقرب شيء

الى مقت الله رؤية النفس والانقياد لدسائسها فمن نجمت طوارق نفسه . افلت شوارق انسه . وقوله « بعتها النفس وهي مني اشترتها بنعيم أعد يوم لقاها » اشارة لقوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » والله تعالى أعلم ثم قال الناظم

فهي مني اليَّ اقرب مني   مهجتي دارها وقلبي خباها

يعني ان الحضرة الالهية أقرب اليه من نفسه . وحقيقة القرب من الله الغيبة عن القرب بالقرب حتى لا يشهد العبد حاله في القرب الا بعداً كما ان لا حالة له في العلم الا الجهل

وشهود القرب يمنع العلم بالقرب . والمراد من القرب الالهي كمال علمه وافاضة خيره اذ لا تخفى عن علمه حركة من حركاتهم ولا لمحة من لحاتهم ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة . وفي القرب تشريف لمن شاء من عبيده كما ان في البعد تذليلا . وأشار بالقرب الى ما خص الله به العبد من العرفان الالهي الذي يجده في نفسه من ثمرات التجلي . وبوادر الواردات وهي نتيجة تلك المحبة . والقرب على أنواع منه ما هو للكافة وهو بالعلم والقدرة ومنه ما هو باللطف والنصر وهو خاص بالمؤمنين . ومنه ما هو بخصائص التأنيس وهو مختص بالأولياء . ولا يكون القرب الخاص للعبد من الحق الا ببعده عن الخلق . وهذه صفات القلوب دون أحكام الظواهر فاذا غاب القلب عن الخلق حضر بالحق وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه . فهو

حاضر بين يدي ربه . فعلى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق لأن كاسات القرب تبدو من الغيب ولا تدار الا على أسرار معتقة . وأرواح عن الاشياء محررة . قال صلى الله عليه وسلم مخبراً عن الحق « ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى يحبني وأحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبي يبصر وبي يسمع » الخبر وقال تعالى « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » وقال (ونحن أقرب اليه منكم) وقال (فاني قريب) وقوله (مهجتي دارها وقلبي خباها) يعني ان محبة الحق تعالى مسكنها قلبه وهو دارها وخباها وأشار في ذلك لما جاء في الحديث القدسي (ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)

ووسع القلب على ثلاثة أنواع كلها سائغة في القلب . النوع الاول وسع العلم وذلك هو المعرفة بالله تعالى فلا شيء في الوجود يعقل آثار الحق ويعرف ما يستحقه كما ينبغي الا القلب . والنوع الثاني — وسع المشاهدة وذلك هو الكشف الذي يطلع القلب به على محاسن جمال الله تعالى فيذوق لذة ومطالعة أسمائه وصفاته بعد ان يشهدها فلا شيء من المخلوقات يذوق ما لله تعالى الا القلب — والوسع الثالث — للمحققين وهو وسع الخلافة وهو التحقق بأسمائه وصفاته والله تعالى اعلم قال الناظم

وهي فينا بنا تطوف علينا   وهي روحي وصورتي معناها

فدعوني بها افتش عنها   فهي لي قد بدت وزال خفاها

قوله وهي فينا بنا اي صفات الحق سبحانه وتعالى اذ هي نور الوجود الحق الظاهر بالاعيان وهذا كلام يشعر بالفناء لانه متى كان العبد فانياً عن توهم الآثار من الاغيار بقي بصفات الحق واذا طالع بانسان عين حالة الجمع في صفحات تصريف الحق شهد ذاته بقدرته ومجرى افعاله واحواله بعلمه ومشيئته .

وقد اشار السادة الصوفية عن الجمع والفرق الى تصريف الحق في جميع الخلق فالكل في التقليب . فريقاً قربهم وفريقاً ابعدهم . ولما كان العلم الالهي هو الذي بنيت عليه كعبة القلب الانساني الكامل الايمان الذي هو محل نظر الرب كما جاء في الحديث « ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم » وقال « ما وسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المؤمن » كنى الناظم رضي الله عنه بالتطواف عن احاطة العبد بالقدرة الالهية بمعنى انها محيطة به . فان قلوب الاولياء العارفين اصحاب الحضور التام ممتلئة معمورة بالمحبة الالهية والمعرفة الربانية بالفيض الالهي (وقوله) وهي روحي وصورتي معناها — يريد ان محبة حضرات الاسماء والصفات العلية الظاهرة بتجلياتها بهيكله الانساني هي روحه اي حياته الحقيقية وهو صورتها من جهة الظاهر . فان الجسم وان كان موصوفاً بالبعد لكثافته وكونه من العوالم الظلمانية وهو في نفسه حجاب البشرية لكن قلبه موصوف بالدنو والقرب

لكونه من العوالم الروحانية النورانية . واشار الناظم لما جاء في الحديث (خلق الله آدم على صورة الرحمن) والمراد بالصورة الصورة المعنوية الحاصلة من التخلق باخلاق الله لأن الله تعالى خلق فيه القوة القابلة لاخلاقه وعليها خلقه والانسان يحب الكبر والعلو وهما صفتان للرحمن وجعله سميعاً بصيراً قادراً عالماً متكلماً حياً مريداً وقوله (فدعوني بها افتش عنها) كناية عن استلذاذه وشوقه للمشاهدة التي هي حضور الحق من غير بقاء تهمة وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رضي الله عنه (وجود الحق مع فقدانك) فان صاحب المشاهدة تمحوه معرفته . وبيان تحقيق المشاهدة ان تتواطأ انوار التجلي على قلبه وقوله (فهي لي قد بدت) اي ظهرت وزال خفاها عن المحقق العارف لأن سماء السر اذا صحت من غيوم الستر اشرقت شمس الشهود وتعين كل موجود بما هو عليه والله تعالى اعلم

ليس لي غيرها لقلبي هاد   ان تمادى الجفا وطال نواها

يعني ليس لقلبه هاد غير استحضار التجليات الالهية في عوالم الامكان بحيث تزول غيريتها عن بصيرته بالكلية ويبقى عرفانه بربه ولا ريب ان في ذلك الهداية التامة والرعاية العامة لأن المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع الى غيره . وبمقدار اجنبية العبد عن نفسه تحصل معرفته بربه . وكما ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من امر يشغله فكذلك العارف حال

رجوعه الى ربه فاذا لم يكن مشتغلاً بربه لم يكن راجعاً الى قلبه . وكيف
تدخل المعنى قلب من لا قلب له — قال صلى الله عليه وسلم (ان دعامة البيب
اساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع) وسئل صلى الله
عليه وسلم عن العقل القامع فقال (الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة
الله عز وجل) والعقل الذي للانسان الكامل لا يهجم على الادراك وصاحبه
لا يدرك به وانما يدرك بنور ربه ثم يعرض ما ادركه بنور ربه على عقله
وعقله يصفي ذلك من كدر الاغيار ودنس الآثار

ثم اعلم ان المعرفة على لسان علماء الرسوم هي العلم فانهم يقولون كل
علم معرفة وكل معرفة علم وعند الصوفية المعرفة صفة من عرف الحق
سبحانه وتعالى باسمائه وصفاته ثم تنقى عن اخلاقه الرديئة وآفاته الذميمة
ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل اقباله
وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره واذا
صار من الخلق اجنبياً ومن آفات نفسه برياً ومن المساكنات والملاحظات
نقياً ودام السير مع الله تعالى مناجياً له وصار محدثاً من قبل الحق بتعريف
اسراره فيما يجريه من تصاريف اقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته
معرفة وقوله (ان تمادى الجفا وطال نواها) يرجع معناه الى ان محبته ثابتة
راسخة على اي حال من الاحوال سواء كان في دنو المحبوب او جفائه او
هجره اووفائه لما عنده من الضنى المقيم والجسم السقيم . والجفاء هو
الاعراض وذلك بعد معنوي . او انه يجر الى البعد المانع من انكشاف

الحقيقة الوجودية الجامعة وانشقاق فجر السالك بالفتح الرباني والمدد الرحماني
بعد ظلمة لياليه . او يشير بتمادي الجفاء وطول النوى زمن الفترة يعني قبل
النهوض الى المعرفة وانطلاقه من قيود اوهامه التي هي حجاب التباعد
بسبب الغفلة والنسيان

وهذا المصراع تقرير للمصراع الاول الذي كنى به عن المحبة القلبية
الناشئة عن شهود آثار الاسماء الجمالية للحضرة الالهية لأن نفسه فنيت
في شهودها بطريق الغلبة والقهر لسلطان الحقيقة ولا بقاء للباطل اذا ظهر
الحق والله تعالى اعلم — ثم قال الناظم

كم لها عندنا مواهب فضل فاتت العد كيف لي احصاها

يعني ان للحضرة الالهية عندنا مواهب فضل اي نعم كثيرة يعجز
اللسان عن عدّها واحصائها كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة لا تحصوها)
والنعم تقتضي الشكر . والشكر عنوان لمعرفة النعمة التي هي السبيل لمعرفة المنعم
فانها أثر والاستدلال بالاثر على المؤثر هو الايمان اليقين كما جاء في الحديث
القدسي (كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق وتحببت اليهم
بالنعم حتى عرفوني)

وتصور النعم من المنعم ومعرفة انها نعمة عين الشكر وقد ورد عن
داود عليه السلام انه قال (يارب كيف اشكرك والشكر نعمة اخرى منك
تحتاج الى شكر آخر ؟ فاوحى الله اليه ياداود اذا علمت ان ما بك من نعمة مني

فقد شكرتني)

ثم أعلم ان الشكر على اقسام ثلاثة شكر بالقلب وهو ادراك كون النعمة من المنعم . وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم . وشكر بالجوارح وهو طاعة المنعم . ومعرفة النعمة تصورها في الذهن من حيث أنها نعمة وتميزها عما عداها فكم من جاهل ينعم عليه ولا يدري انها نعمة فلا يصح منه الشكر . والنعم يلزم قبولها من المنعم اي تلقيها باظهار الفاقة والافتقار اليها فان ذلك يشهد بالاستعداد لقبولها ثم الثناء بها بأن يصف المنعم بالعطاء والجود والفضل والكرم وما اشبه ذلك من الصفات الجميلة الكمالية . ولو شهد الشاكر تصرف الحق سبحانه وتعالى في ملكه كما يشاء لم ير نفسه اهلاً للقيام بشكره لانه هو من جملة ملك الله قال الله تعالى (ومن شكر فانما يشكر) لنفسه والله تعالى اعلم — ثم قال الناظم

انا عنها الخليفة اليوم لكن (١) بي تجري الامور طوع رضاها

---

(١) في هذين توخيت الارشاد الى حقيقة التوكل على الحق في هذه الحياة . لان المؤمن الحقيقي يجب عليه ان يخلي فؤاد من شواغل الاشباه والنظائر ويحليه بفضيلة الاذعان بحقيقة الخلافة الالهيه وحالها المصاحب للطيفة الآدمية . وليس الايمان الا هادياً لضمائر المؤمنين الى هذا الاذعان الشريف فقولي (انا عنها الخليفة اليوم لكن) اشارة الى قوله تعالى للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) وقولي (بي تجري الامور طوع رضاها) اعترافٌ بصدق الحق في رده على الملائكة الذين قالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها) بقوله (اني اعلم ما لا تعلمون) والذي يعلمه الله من المؤمنين الاصفياء هو الاذعان بوحدانيته تعالى وانه المدبر المريد المقدر الذي لا يشاركه في فعله فاعل اذ لا فاعل على

وهي عني خليفة مثل ما قد جاء في قول سيد الخلق طه

لما كان آدم ابو البشر مخلوقاً على صورة الرحمن كما جاء في الحديث (خلق الله آدم على صورته) او على صورة الرحمن وهو الجمعية الكبرى والنسخة العظمى ومحل نقوش جميع الاسماء الالهيه والحقائق الكونية وقد ألبسه الله خلعة الخلافة في الارض لتحصيل الكمالات والتحقق بمظاهر اسماء الجلال والجمال وجمع فيه ما في العوالم كلها من الروحانيات والجسمانيات والدنيويات والاخرويات من الموجودات وحمله الامانة التي

الحقيقة سواه . فمتى تأصل في فؤاد المؤمن هذا الاعتقاد وانصبغت العواطف بصبغته الحقيقية تجلت انانية الحق مستوية على عرشها الرحماني منادية بالخلافة ناطقة بالوكالة والكفالة آذنة للعبد المؤتنس بها بالاستخلاف . اي بان يقول بلسان عبودته اللهم انت الخليفة في الاهل . وهنا دقيقة يدركها العارفون من قولي فيما تقدم (وهي روحي وصورتي معناها) ومن انعم النظر في حقائق الوجود تحقق ان الله هو الموجود الواجب الوجود . ووجوده ذاتيٌ تعلقت بافتضاءآته نسب الممكنات كما شاء وقدر . وسر الخلافة يظهر عند العارف من جعل الله آدم خليفة عنه وكونه تعالى خليفه عن المؤمن فتدبر وغص في بحر التعرض للالهام علك تصادف درة تلتقطها بيد الاخلاص فتهتدى الى حقيقتك

ويعجبني قول حضرة استاذي العارف بالله السيد علي ابي النور الجربي السكندري في هذا الباب تقريرًا للعقيدة الحقَّة التي لا تحتمل شكاً في مجلس من مجالسه الملآى بالحقائق والعظات التي انفرد بها —

الله موجود بذاته والاشياء خلقه موجودة به . وهي في نظر العارف كظلال الاشجار في البحار لا تمنع السفن من التسيار — فانظر لهذه الحقيقة الكلية الجامعة لشتات ما يجب اعتقاده . ولكن لا غرابة فقد انفرد استاذنا بالغرائب والعجائب اعانه الله وقواه —

لم تحملها السموات والارض وناب عن الحق لأن وجوده يدل على
موجده كالصنع يدل على الصانع وكان كل شخص انساني هو نسخة صورة
آدم وهو في ذاته آدم مستقل والولد سر ابيه فمن هنا قال الناظم رضي الله
عنه(اناعنها الخليفة اليوم)اشارة لما تقدم من ذلك لتحققه بالاسماء والصفات
ولم يصرح بها استعظاماً لها وستراً للحال ورعاية للمقام وللقاعدة التغزلية
ثم استدرك الكلام بقوله(لكن بي تجري الامور طوع رضاها)فان الانسان
قوالب واشباح تجري عليها احكام المقادير والرضاء من العبد هو فناء ارادته
في ارادة المعبود وفناء صفته في صفة الرضاء عن الله تعالى في كل ماقضى وقدّر
كما قال تعالى(رضي الله عنهم ورضوا عنه) فلولا رضاء الله عنهم ما رضوا عنه
وهذا من اوائل مسالك اهل الخصوص لان من رضي عن الله بكل ما قضى
وقدر فقد خرج عن حظوظه وفنيت ارادته في ارادة الله ومقام اهل الخصوص
الخروج عن النفس بفنائها في الله حيث تتساوى عندهم النعمة والبلوى والشدة
والرخاء والسراء والضراء لأنهم مريدون بارادة الله لا بارادة انفسهم ومن
هذه صفته يرى ان كل ما اصابه بارادة الله ولا يميل الى شيء ليس في يده
ففي اي شيء يخاصم الخلق وقد برأهم من افعالهم لأنهم اسرى تحت حكم
الله ويرى كل ما قسم له واصلاً اليه وكل ما لم يقدر له ممتنع الحصول . فلا
يلح في المسألة ولا يسأل احد شيئاً الا اذا ظن ان المطلوب يمكن ان يكون
موقوفا على السؤال فيسئل ويجمل في السؤال . والرضاء برضاء الله هو محو
الحق تعالى لصفات العبد بصفاته فتقوم ارادة الحق مقام ارادة العبد ورضاؤه

مقام رضائه وسخطه مقام سخطه . فلا يرى العبد لنفسه رضىً ولا سخطاً بل
تكون ارادة العبد من ارادة الله كما قال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
لان رضاء العبد فرع عن رضاء الله وكذلك سخطه وجميع صفاته مجازيه
مقتبسة من الارادة الحقيقية المطلقة — وقوله — (وهي عني خليفة مثل ما قد
جاء في قول سيد الخلق طه) يشير بذلك لما جاء في الحديث(اللهم انت الصاحب
في السفر والخليفة في الاهل) ويعني بذلك التفويض وهو الطف اشارة
من التوكيل فان التفويض براءة من الحول والقوة من غير ان يرى صاحبه
لنفسه منه شيئاً فيقيم الحق مقامه في التصرف وهو اوسع معنى من
التوكيل لعمومه . وهو عين الاستسلام أي الانقياد لله تعالى بالكلية وتسليم
الوجود له يفعل ما يشاء خيراً كان او غيره . فان القوة لله جميعاً . وما ثم مع
القوة الالهية قوة تقاوي قوة الحق بخلاف التوكيل فانه يقضي بأن يقيم
الموكل وكيله مقام نفسه في مصلحته . وكيف يأمن من لا يتحرك الا بتحريكه او
كيف ييأس من معونته في التحريك ويرى انه هو الله الرحيم المقتدر
الجواد الفياض او كيف يعتمد على نيته من يعلم ان الله يحول بين المرء
وقلبه او كيف يقدر قوام قصده ونيته على الفعل من يعتقد ان مثل القلب
كريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت وان قلوب العباد بين اصبعين
من أصابع الرحمن فالحق سبحانه وتعالى هو المنفرد في كل ما يصدر عن
الكون من الحركة والسكون والقبض والبسط فهو الباسط بالحركة
والقابض بالسكون يضل من يشاء باحتجابه بالتفرقة ويهدي من يشاء الى

الجمع والله تعالى أعلم

ثم اختتم الناظم قصيدته بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه السبب في ايصال الخير الينا كما قال صلى الله عليه وسلم (الله المعطي وانا القاسم) وشمل بالصلاة والسلام جميع الآل والصحب بقوله

صلّ ربي عليه ماناح طير في رياض الرضا بقدس حماها

وعليه والآل والصحب سلم ما تجلت لواله من عماها

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة وامر الله بها خلقه حيث قال عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقد اعلمنا الله سبحانه وتعالى بأنه صلى عليه هو وملائكته

ولهذا فالناظم رضي الله عنه قال صل ربي عليه . وصلاة الله هي التشريف والتعظيم والتخصيص والتتميم . اما صلاة الملائكة فهي بالدعاء والاستغفار وكثرة الأنوار وصلاة الخلق هي بالحفظ على السنة ونيل الفضل والمنة وبقدر الاتباع يكون الانتفاع وبقدر الانتفاع يكون التخصيص قال صلى الله عليه وسلم (اولاكم بشفاعتي واقربكم مني منزلاً يوم القيامة اكثركم صلاةً عليّ) وقال عز من قائل حاكياً عن نبيه عليه الصلاة والسلام (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيه) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يقبل للمؤمن ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه وماله

وولده ووالده والناس اجمعين) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من دعاء الا وهو موقوف بين السماء والارض حتى يصلي عليّ فاذا صلى علي نفذ وكل عمل فيه مقبول ومردود الا الصلاة عليّ فانها مقبولة غير مردودة فاجعلوا الصلاة عليّ في أول دعائكم وفي آخره فان الله تعالى اجل واكرم من ان يقبل الطرفين ويرد ما بينهما) وقوله ما ناح طير في رياض الرضا بقدس حماها يكنى بالطير عن القلب الهائم بالمحبة الالهية وبالحمى عن تقوى الله تعالى وعن مقام الورع في الاعمال كلها ظاهرة وباطنة والمراد من هو في حمى وجود الله سبحانه وتعالى الذي يحميه بالفيض الاقدس في رياض الرضاء الانفس الذي لا ينقطع فكل من هو داخل في تلك الرياض تحت العبودية لله يحب الله لأن لله عليه نعمة الايجاد بل ذوات الوجود مائلة لله بالعبودية مقرة بالربوبية كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) وقال (وان من شيء الا يسبح بحمده) وقد قيل

ورق الغصون اذا نظرت دفاتر مشحونة بادلة التوحيد

وقد شملت الصلاة والتسليم الآل والصحب وقوله ما تجلت لواله من عماها يعني كلما تجلى الله سبحانه وتعالى باسمه الظاهر في صور الاكوان كلها وما ينكشف المستور من العلوم اللدنية والوادرات الالهية التي تطرد السكون عن القلب وكلما انجلت الانوار من غيوبها والله تعالى أعلم والحمد

لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وكان الفراغ
من هذه الرسالة لمؤلفها يوم الخميس ١٩ ذي القعده سنة ١٣١٩

تمت هذه القصيدة وتم شرحها الجميل وقد رأى هذا العاجز قصيدة أخرى لهذا الناظم العارف بربه وطلب مني بعض الاصدقاء شرحها فشرعت في ذلك مستعيناً بربي وهو حسبي ونعم الوكيل . وعما قريب يطبع شرح القصيدة الثانية التي ستكون أعظم برهان على عظيم المنن التي وهبها الله للناظم اعانه الله

(محمد الشربتلي)
محرر بالجرائد العربية

أما القصيدة المومى اليها فهي

أنا في الكون نقطة فاعرفوني ... ثم عنها بدت لذاتي سؤوني

وتجلت في مرسح الكون ذاتي ... فتراآت بكل عال ودون

وأنا لم أزل على ما عليه ... من قديم نخلّ وهم الظنون

أنا كل الورى وكل المعاني ... أنا كل الشروح كل المتون

أنا عبد لها وقد ملكتني ... بجمال مبرقع ومصون

اسكرتني بكأس خمر رضاها ... اسرتني بسحر غمز الجفون

ساررتني بسرها ثم قالت ... خبر القوم علهم يشهدون

فهي في الكون لا سواها تحقق ... سر معنى ظهورها في البطون

فتراها به لها قد تجلت ... بشؤون وما رأتها عيوني

أب (فوزي) بها لسرّ عجيب ... وهو عشق لها وفرط الشجون

(احمد) الله في الختام بقولي ... أنا في الكون نقطة فاعرفوني

تنبيه

﴿ محلات مبيع هذه الرسالة ﴾

(١) المكتبة السامية بالحلميه بجوار سبيل ام عباس

(٢) ادارة جريدة الرشيد بشارع محمد علي نمرة ٨ بحارة العنبه